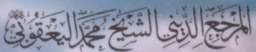
أحذروا الذنوب

يشتمل على آثار الذنوب ومنابعها
والعصمة منها وكفارتها

من خطب سماحة



إعداد
ثامر حكيم الساعدي

دار الصادقين

احذروا الذنوب

يشتمل على آثار الذنوب
ومنابعها والعصمة منها وكفاراتها

من خطب سماحة المرجع
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

إعداد
ثامر حكيم الساعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

موعظة في معرفة النفس:

أفتتح الحديث بالموعظة التي نحن بأمس الحاجة إليها، فالقلب الخالي من الموعظة، هذا القلب أجوف، لذا فإن علينا أن نتحسس كلمات الوعظ والإرشاد لأنها تؤدب الإنسان وتحد من غروره.

إن القلوب بحاجة إلى التهيئة، بأن نذكرها بالموعظة، وبمصيرها الذي ستنتهي إليه، أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: (أحيِ قلبك بالموعظة)[1].

إن الله تعالى يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}الأنفال٢٤.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب٣١.

ومن الواضح أن الذي لا يستجيب لما دعاه الله تعالى لما يحييه، فهو ميت بحسب مفهوم الآية الكريمة.

وإذا كان العبد يبحث عن الموعظة، ويتحرى مواطنها، ويتأثر بها، ويتفاعل معها، فهذا يعني أن قلبه لا يزال تدب فيه الحياة، ويرجى منه النجاة، وهي نعمة عظيمة حباه الله تعالى بها.

إن هذه القلوب، التي هي محل معرفة الله تعالى، ووعاء الوصول إليه، يعروها الصدأ والرين، لما يرتكبه من الذنوب، وانشغاله بالدنيا، فإذا ازداد الرين طبع على القلب، واسودت صفحته فانغلق عن المعرفة وتلقي الفيض الإلهي، إلى أن يتداركه لطف الله تعالى ورحمته، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن) .

لذلك أوصى أهل البيت (عليهم السلام) بتعاهد القلب بالموعظة، حتى تبقى فيه جذوة الحياة وتبقى فيه قابلية التكامل.

من هنا فإننا إذا أردنا الحديث بالموعظة فإن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كلام الله، الله تعالى يقول:

---

(١) منتخب ميزان الحكمة: ٥٣٣ رقم ٥٣٥٠.

{يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ} الانفطار: ٦-٨.

إن هذه القلوب إذا لم نتلو عليها الموعظة ونذكرها بالله سبحانه فإنها ستذبل يوماً بعد يوم إلى أن ترتكس وتظلم، فالإنسان الذي يعيش بدون ذكر الله تعالى، ولا يبحث عن معرفة الله تعالى وعن لقاء حبيبه، هذا الإنسان كالذي يعيش في بحر قزوين على تعبير بعضهم، فالبحر هناك تتلاطم فيه الأمواج، وهو مظلم بعادته، وإذا غشيته الغيوم فإنه سيظلم فوق ظلمته، وإذا كان الوقت ليلاً، صارت ظلمة فوق ظلمة فوق ظلمة.

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ}. النور ٤٠.

نعوذ بالله تعالى أن تكون حياتنا بهذه الظلمة الموحشة، فالحياة التي لا تمتلئ بحب ذكر الله تعالى، والأنس به عزّ وجلّ، فإنها حتماً ستمتلئ بغيره والعياذ بالله، وستكون الحياة بدونه مظلمة وموحشة للغاية.

إن الله تعالى خلق الإنسان ليحيى حياة النور، ولم يخلقه سدى، **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ }**الذاريات٥٦.

فلزم على الإنسان أن يحث خطاه، ويسابق أنفاسه، ليصل إلى كماله المنشود له.

وفي قصة لأحد العلماء أنه نظر يوماً إلى حمار يحمل متاعه إلى حيث يريد صاحبه، وظل هذا العالم يتابع ذلك الحمار إلى أن وصل إلى قصده، وألقى متاعه الذي كان يقصد إيصاله. وبعد أن نظر هذا العالم إلى هذا المنظر بكى وتحسّر. وعند سؤاله عن سبب بكائه وتحسّره، قال: كل من في هذه الدنيا أدّى مسؤوليته، وأوصل متاعه إلى مستقره، إلا نحن الذين نسينا أن نبعث متاعنا إلى آخرتنا.

وفي كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام): (عبادَ الله، الله الله في أعزّ الأنفس عليكم، وأحبّها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سُبُل الحق، وأنار طُرُقَه، فَشَقْوَةٌ لازمة، أو سعادةٌ دائمة، فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دُللتم على الزاد، وأمرتم بالظعن، وحثثتم على المسير، فإنما أنتم كركبٍ وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير، ألا فما يصنع بالدنيا من خُلق للآخرة، وما يصنع بالمال من عمّا قليل يُسلَبُه، وتبقى عليه تبعته وحسابه.

عبادَ الله، احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثُر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال)[1].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٧).

إن كمال الإنسان هو في أن يستثير دفائنه المجبولة فيه، ويتفطن لدرك المعارف الإلهية الحقة.

فداء الإنسان ودوائه بيده، وهو فعله صالحاً أو طالحاً، وقد روى الصدوق في أماليه[1] إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لقيس بن عاصم: (إنه لا بد لك -يا قيس- من قرين يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أساءك...وهو فعلك).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأبيات المنسوبة إليه:

دواؤك فيك ولا تبصر — وداؤك منك ولا تشعر
وأنت الكتاب المبين الذي — بأحرفه يظهر المضمر
أتزعم أنك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر[2]

قصة:

التفت أحد الشعراء والعبّاد، من ذوي الحس المرهف يوماً إلى تلامذته، يحكي لهم قصة أحد الناس الذي قضى عمره في البحث عن الكنز، فأخذ التلاميذ بالاستماع له لما عرفوا عنه من شاعرية وذوق.

---

(١) المجلس الأول: ص٥١،ح٤.

(٢) الديوان المنسوب إلى الإمام علي (عليه السلام): ص ١٠٣.

فقال لهم: إن أحد الناس صار يشكو إلى الله تعالى حاله، بأنه فقير ولا يملك الأموال الكثيرة، وأخذ يدعو، ويتوسل إلى الله تعالى بأن يفرج عنه بأن يجد له كنزاً.

وبعد أن تعب من التوسل ونام ليلته جاءه في المنام أحدهم قائلاً له: أتريد أن أدلك على الكنز؟ فقال: نعم بالتأكيد. قال: عليك إذن أن تطيع الأوامر، فغداً سيأتيك شاب يلبس السواد يأخذك بعيداً عن بلدتك ليعبر بك النهر، ومن ثم يعبر بك الغابات ليصل بك إلى الجبل، حيث تجد هناك الكنز.

قال: وأين أجده بالضبط؟ قال: خذ معك قوساً وسهماً، واصعد الجبل وضع سهمك في قوسه، وفي المكان الذي سيقع فيه السهم أحفر تحته، عندها ستجد الكنز.

وما أن فتح صاحبنا عينه من منامه حتى أتاه هذا الشخص الذي وُصف له، يريد أن يأخذه، ففرح كثيراً، وذهب معه، ووصل إلى الجبل المنشود بعد شق الأنفس، وعندما صعد الجبل ووضع سهمه في قوسه، تذكر بأنه لم يخبره في أي اتجاه يرمي السهم، وأصابه التحير. إلا أنه قرر أن يرمي باتجاه اليمين، فرمى وأسرع خلف سهمه، وحفر كثيراً، لكن من غير جدوى.

ورمى على اليسار كذلك، ولم يحصل على نتيجة، وكررها شمالاً وجنوباً من غير فائدة.

عندها أدرك بأنه قد ضحك عليه، فأخذ يبكي ويصرخ ويلوم، ونام على هذه الحالة، فأتاه نفس الذي أتاه سابقاً، فأخذ صاحبنا يتوسل له بأن يدله على الكنز، فقال: لقد أخبرتك سابقاً عن مكانه، فقال: فعلت كل الذي أمرتني به فلم أجده؛ لأنك لم تخبرني في أي اتجاه أطلق السهم؟ قال له: أنا قلت لك أن تضع السهم في قوسه وبعد ذلك تتركه، فسيقع عند قدميك. ففهم الرجل ذلك، وعاد نوبته وصعد الجبل ووضع السهم في قوسه وتركه يسقط، فصار عند أقدامه، فحفر تحتها ووجد الكنز المنشود.

بعدها التفت التلاميذ إلى الأستاذ الشاعر، بأنه ما الذي يريد الأستاذ أن يفسره بهذه القصة؟

انتبه أحد التلاميذ الأذكياء ليقول لهم: إن الأستاذ يريد أن يخبرنا أن لا نرمي سهامنا بعيداً، وهو يريد أن يبين معنى الآية الكريمة {**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**} الذاريات ٢٠-٢١.

الطريق إلى الله تعالى وارتباطه بترك الذنوب:

إن العبرة في هذه القصة أنها توقظنا إلى أمهات مشاكلنا، في أن لا نرمي سهامنا بعيداً، علينا أن نصلح أنفسنا، القرآن

يقول:{وَفِي أَنفُسِكُمْ} بأن نتوجه لتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل، علينا أن نعتني بهذه الجوهرة التي هي أُس حياتنا.

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام): (مَثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أُخرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم يُعبأ به)[1].

مثل هذا القلب، مثل الجوهرة والصندوق، وإلا فالصندوق الفارغ هو الذي يكون فارغاً من الحياة، ومن الجواهر، لا ينبض بحب الله تعالى وحب أوليائه، وإذا فرغ القلب من حبه تعالى أذاقه الله حب غيره، فيمتلئ بالأماني والغرور، كما يناديهم القرآن:

{وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ.فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}. الحديد ١٤-١٧.

---

(١) البحار: ج٥٨ ص٤٠.

ولنستخلص العبرة فنقول: إن إصلاح الإنسان لجوهره ولبه، الذي هو تمام حقيقته، كله رهين أن يلتزم الإنسان بأوامر ونواهي المولى سبحانه، التي دله عليها، وواتر رسله للتذكير بها.

قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾الأنعام١٢٠.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾النساء١٤.

والذنوب قبيحة على كل حال، يأنفها العقل السليم ولا يرضاها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (لو لم ينه الله سبحانه عن محارمه لوجب أن يجتنبها العاقل)[١].

ومع ذلك فقد كان لترك الذنوب والتورع عنها من أشد ما أكدت عليه كلمات أهل العصمة (سلام الله عليهم أجمعين): فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أصل الورع تجنب الآثام، والتنزه عن الحرام). وأنه (أساس التقوى) وأنه (نظام العبادة، فإذا انقطع ذهبت الديانة؛ كما إذا انقطع السلك اتبعه النظام)[٢].

---

(١) غرر الحكم: ٧٥٩٥.

(٢) تجد هذه الأحاديث في منتخب ميزان الحكمة: ص٦٥٧.

أي أن ترك الذنوب، والورع عنها بمثابة نظام (خيطه) الخرز، الذي يجمع حوله أجناسه ويضمه إليها، فإذا ذهب، تشتت ما حوله وتبعثر، فلا دين بدون الورع.

وقد رأينا أن البعض يقوم بأعمال مستهجنة في الشريعة، ويعصي الله تعالى في الوقت الذي يريد بعض المقامات الروحية، أو يريد الأنس به عز وجل.

إلا أن أدنى ما يقال فيهم أنه كيف تطلب رضا الله تعالى وأنت تعكف على معصيته؟! فالمحب لمن يحب مطيع.

ومما روي في ذلك أن رجلاً أتى الإمام زين العابدين (عليه السلام) قائلاً: (إني مبتلى بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً، أفيكون ذا كفارة لذا؟...فاجتذبه الإمام (عليه السلام) إليه فأخذه بيده وقال له: (تعمل عمل أهل النار وترجو دخول الجنة)[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: (عليكم بالورع فإنه الدين الذي نلازمه، وندين به ، ونريده ممن يوالينا)[2].

وعليه فإن لترك الذنوب والمعاصي أساً مهماً في الطريق إلى السعادة الأبدية، أو الشقاوة الأبدية.

---

(١) البحار: ج٦٧ص٢٨٦.

(٢) الوسائل: ج١٥ص٢٤٨.

وكان العلماء من السلف يوصون كثيرا بهذه، حتى جعلوها الخطوة الأولى واللازمة لمعرفة الله تعالى، ومما نقل عن بعض السلف (قدس سره) أنه كان إذا طُلب منه أن يعطي أحدهم ورداً، فإنه كان يقول: وردك ترك الذنوب.

كما أن هناك من الأخلاقيين من أوجب معرفة الذنوب[1].

أهمية هذه المحاضرات:

من هنا يكتسب الموضوع أهميته في طريق المعرفة وتهذيب النفس، ولا يخفى أن ترك الذنوب والمعاصي فرع معرفتها، أي لا يمكن لأحد أن يترك الذنوب وهو لا يعلم ما هي الذنوب في الجملة؟

ولذا فإن هذه الأبحاث عن الذنوب وروافدها وطريقة العصمة منها ... والتي تفضل بها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ذات أهمية نوعية، لعدة أسباب:

منها: ما ذكرنا من أهمية الموضوع ولوازمه في طريق المعرفة الإلهية.

ومنها: حاجة الأمة وخاصة الشباب إلى توعيتهم بمضامين التهذيب والتزكية، وهدايتهم إلى طريق الكمال الذي أراده الله

---

(١) المحجة البيضاء: ج٧ ص٣٩.

تعالى لهم، فدور العلماء الربانيين كما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال الله تعالى فيه: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }آل عمران١٦٤. وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}الجمعة٢.

ومنها أيضاً: التحديات الأخلاقية التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم، والتي تقودها أضخم المؤسسات العالمية، ممن توازر على الدنيا، وتغطرس وتردى في هواه، من حملة الأوزار والمستوجبين النار.

فتكون وظيفة العلماء أوكد في رد هذه الهجمات، في أن يوضحوا للأمة ما التبس عليها، وتقودهم نحو النجاة والهدى، ولتسلِّمهم من كيد الشياطين.

ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته)[1].

(١) البحار: ج٢ ص٥.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (إن العلماء ورثة الأنبياء... فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1].

وسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) كما عرف عنه: من أعلام الأمة، ومراجعها المخلصين، ومن المنافحين العتيدين في الدفاع عن آثار الشريعة ومبادئها الغراء.

وهو إلى جانب ذلك له من اللطافة الأخلاقية، وعمق الخطاب، مع ما له من تأثير عجيب في النفوس جعل كلامه يأخذ بمجامع القلوب ليرويها من العذب الزلال.

كلمات القرآن الكريم وأحاديث أهل العصمة (عليهم السلام) تترى على فيه، بحيث تكون هي السائدة فيما يتحدث أو يقول. ليعبّر عن الخطاب الأخلاقي الذي يستنير بالقرآن والسنة، في الوقت الذي لا يحدو فيه إلى المدارس المصطنعة وغير الرشيدة في تعاطيها مع الواقع والحياة.

والشيخ اليعقوبي يعتبر أن ظاهر الشريعة بُراق السير إلى الله تعالى، فترك الذنوب، وأداء الصلاة والحقوق وخدمة العباد، هي التي تنير درب أهل الله إلى صراط الحق جل وعلا.

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٢.

وهذه المائزة هي التي ميزته مع جمهرة من الفقهاء السلف ممن قضوا شطراً من عمرهم الشريف في طريق التهذيب والتزكية.

هذه الخطابات الأخلاقية مليئة بالعذوبة، وتتصدى لكل طبقات الأمة، وجرّب الذين كانوا تحت منبر سماحة الشيخ اليعقوبي كيف كانت الكلمات تعرج بالحاضرين إلى ذكر الله تعالى، لتضفي عليهم كساء الخشوع، وانشراح القلب الذي عشناه بين يديه.

عرفه كل من نهل من فيض كلماته الإلهية، والتي كان يمزج فيها كل أحاديثه وخطاباته، وحتى السياسية منها، وفي أقسى الظروف تجد الشيخ اليعقوبي يلقي دروس الأخلاق بفؤاد وادع، وقلب مطمئن، وتراه يبدي كلماته عن الله تعالى ومراقبته، وعن الشكر له في كل المناسبات والفجائع التي تطرق سمعه.

وأما قصة البحث الذي بين أيدينا، فإن الفصل الأول منه كان قد ألقاه في جمهرة من الأمة في مدينة النجف الأشرف التي ازدحمت للصلاة خلفه في عيد الفطر للعام ١٤٣٣ للهجرة، ٢٠١٢ للميلاد، ليجعله خطبتي العيد، وليذكر فيها ما قاله أمير المؤمنين

(عليه السلام) في بعض الأعياد: (إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)[1].

وما ورد عنه (عليه السلام): (اليوم لنا عيد وغداً لنا عيد وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد)[2].

وكان الفصل الثاني هو الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى للعام ١٤٣٢ هجرية ٢٠١٢ م، وقد قمنا بإضافة الشواهد عليها، مما يجعلها تزدان بهذه الإلمامة عن الذنوب ومخاطرها؛ لتكون نبعاً ينهل منه أهل القلوب، والمعتصمون بالله تعالى من الذنوب.

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا القاصرة لبلوغ ساحة رضاه بفضله وهداه. إلهي خذ بنا إليك، واقطعنا عمن سواك، واعصمنا من الذنوب، واجعل أعمالنا خالصة في رضاك يا أرحم الراحمين.

اللهم صل على ولي أمرك، وبقيتك في أرضك، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٦ ص١٥٤.

الفصل الأول:

الذنوب: آثارها ومنابعها والعصمة منها وكفّاراتها

خطبتا صلاة عيد الفطر عام ١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢

مقدمة في التقوى:

قال الله تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} البقرة:١٩٧.

ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ، ومعاذ منجح). (فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رُجي غداً زيادته، وما فات أمس من العمر لم يُرجَ اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي فـ {اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢))[١].

سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى التقوى وتفسيرها، فاختصر (عليه السلام) الجواب بقوله: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك)[٢].

فللتقوى ركنان:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١١٤).

(٢) بحار الأنوار: ٧٠/٢٨٥، ح٨.

الركن الأول: ترك ما يكره الله تبارك وتعالى ويسخطه، وهو أوسع من المحرمات فيشمل المكروهات المؤثرة في تكامل الإنسان وتقربه من الله تعالى.

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (التقوى أن يتقي المرء كل ما يؤثمه)[1].

ومثله ما ورد عنه (عليه السلام): (ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتّى يخزن لسانه)[2].

الركن الثاني للتقوى: فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وهو أعم من الواجبات فيشمل المستحبات الموجبة لرضا الله تبارك وتعالى ومحبته.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس)[3].

وعليه فإن للتقوى ركنان: ترك الحرام وعقاربه من المكروهات، وإتيان الواجب وأقاربه من المستحبات.

ومن طريف ما ينق لتعريف التقوى ما حُكي عن بعض الناسكين أنه قال له رجل: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت

---

(١) غرر الحكم: ٢١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: خ١٧٦.

(٣) البحار: ج٧١ص١٩٦.

أرضاً فيها شوك ما كنت تعمل؟ فقال: أتوقى وأتحرز، قال: فافعل ذلك في الدنيا، كذلك التقوى[1].

وليعلم إن من المكروهات ما يُبعد عن الله تعالى، ويؤثّر سلباً في تكامل العبد، والحديث عنها حديث عن مراتب التقوى، فإن للتقوى مراتب ذكرت في محلها، ونحن هنا نذكرها موجزة:

الأولى: الوقاية من عذاب الله، وذلك بالإيمان بالله تعالى ورسله، وكتبه،..الخ من العقائد.

والثانية: تجنب ما أمر المولى بتركه مما هو موكول إلى الفقه.

والثالثة: التوقي عن كل ما يشغل القلب عن الحق، وهي من الدرجات العلية التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، رزقنا الله تعالى ذلك بمنه وكرمه.

وهذه المراتب، وإن حشرت على التقوى، إلا أنها هكذا باعتبار معين، وإلا فإن بعضها يخص مرتبة اليقين، كما في الثالثة، ففي الكافي[2] عن الوشا عن أبي الحسن (عليه السلام): قال سمعته يقول: (الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسّم في الناس شيء أقل من اليقين) والتحقيق في ذلك موكول إلى محلّه.

---

(١) ذكرها صاحب الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: ج٣ص٢٧٥.
(٢) ج٢ ص٥١.

والمهم إن هذا البحث سيعتني بالحديث عن الركن الأول للتقوى، لتتكفل بالركن الثاني للتقوى كتب الأخلاق[1].

أهمية ركني التقوى عند طالبي الكمال:

إن من أراد الكمال سار بهذين الطريقين معاً، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قام ببعض الطاعات لكنه لم يجتنب المعاصي والعياذ بالله، فإنه يهدم ما بناه بتلك الطاعات وسوف لا يقوم له بناء أبداً.

روي عن المعصومين (عليهم السلام) قولهم: (جدّوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا، فإن من يبني ولا يهدم يرتفع بناؤه وإن كان يسيراً، وإن من يبني ويهدم يوشِك أن لا يرتفع بناؤه)[2].

ومثله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل، وقيل: على الماء)[3].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما عمل من لم يحفظ لسانه)[1].

---

(١) وأيضاً ما سُطّر من خطابات أخلاقية في كتاب خطاب المرحلة.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٠، ح٨.

(٣) عدة الداعي: ص١٤١.

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (إن سوء الخُلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل)[٢].

ونفس المعنى يجري في الأمراض البدنية، فإن من ابتلي بمرض معين -كالسكري أجاركم الله تعالى منه- فإن الطبيب يأمره بأخذ بعض العلاجات وينهاه عن ارتكاب بعض الأفعال أو تناول أطعمة تضره بكميتها أو نوعها، فإذا أراد الحفاظ على صحته فلا بد أن يأخذ بهما (الأوامر والنواهي) معاً.

ولعله هنا تتضح النكتة من أهمية التوصية بترك الذنوب، وأن تركها لب الطريق إلى الله تعالى، ذلك أن العبد يقوم بالعمل فلا يأخذ أثره، أو يأتي ببعض المستحبات، وقد يقوم الليل أيضاً، إلا أن هذه الأعمال لا تأخذ أثرها الذي يُراد لها.

وعلة ذلك إن العبد وفر كل المقتضيات المطلوبة، من أداء الصلاة وحضور المساجد والمجالس وقراءة القرآن الكريم وغيرها من المقتضيات الكثيرة، إلا أنه لم يتخلص من الموانع، والتي هي الذنوب. فالمقتضي وعدم المانع شرطا الكمال، وبعبارة أخرى: المقتضي هو الركن الثاني من التقوى، وعدم المانع هو الركن الأول من التقوى.

---

(١) البحار: ج٧٧ص٨٥.

(٢) البحار: ج٧١ص٣٩٥.

ومثال ذلك مثل الفلاح الذي يرمي بذوره الكثيرة (أعماله) في الأرض السبخة، ومن الطبيعي أن لا تنتج هذه العملية شجراً أو ثمراً. على العكس فيما لو غرس بذرة واحدة (العمل القليل) في ارض طيبة، فإنها ستعطيه الشجرة الباسقة التي يطمح لها.

ومما يشير إلى ذلك ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ترك لقمة حرام أحبُّ إلى الله من صلاة ألفي ركعة تطوعاً)[1].

ومنه يعلم أن إتيان الطاعات مع العكوف على الحرام لا أثر له، ولعل من ذلك نفهم حكمة حرمة أداء بعض الطاعات مع إتيانها من حرام، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الرجل إذا أصاب مالاً من حرام لم يقبل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى أنه يَفْسُدُ الفرج)[2].

ومنه يُعلم أيضاً أن العمل القليل مع التقوى خير من الكثير بلا تقوى، فالله تعالى ينظر إلى نوعية العمل لا إلى كميته {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}هود٧. وان معيار قبول الأعمال هو التقوى، {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}المائدة٢٧.

---

(١) تنبيه الخواطر: ج٢ص١٢٠.

(٢) أمالي الطوسي: ص٦٨٠.

وعليه لا قليل مع التقوى على هذا النحو، وهو في معيار القبول والذي هو التقوى، لا الكثرة أو القلَة.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل بغيره؛ فإنه لا يقلُ عمل التقوى، وكيف يقلُ عمل يتقبل؟! لقول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}المائدة٢٧)[1].

ثمرة التقوى القلب السليم:

والمحصلة مما سبق أنه يلزم على العبد أن يسير بهما (الأوامر والنواهي) معاً، لئلا ينتقض حاله، ويؤول مآله إلى الخسران.

والذي يراد من الالتزام بهما، هو تحصيل القلب السليم، فلا يُقتصر على التخلي من الرذائل، أو التحلي بالفضائل، بل بما هما شرطا الوصول إلى القلب السليم، والذي هو جوهر الخلقة وغاية الوجود: {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}الشعراء ٨٨-٨٩.

---

(١)البحار: ج٧٠ص٢٨٦.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه، وكل قلبٍ فيه شرك أو شك فهو ساقط)[1].

فالترقي للقلب السليم شرطه السلامة عما سوى الله تعالى، فضلاً عن سلامته من المعاصي، وفي الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتى تغلب عليه، فتصير أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه)[2].

أي تتغلب عليه الخطايا، ويصبح يداً لإبليس على نفسه، فيدسها والعياذ بالله تعالى {وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}الشمس١٠.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره للقلب السليم: (هو القلب الذي سلم من حب الدنيا)[3].

والمقصود من الدنيا، ليس كل دنيا، كما في الحديث إن الدنيا دنياوان، وإنما المقصود منها خاص، ويعني بما أنها رأس الخطايا، وسيأتي إن شاء الله.

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٦.

(٢) الكافي: ج٢ص٢٨٦.

(٣) مجمع البيان: ج٧ص٣٠٥.

إن الثمرة التي أنتجها القلب بتركه المعصية والتزامه التقوى، هو أن يصل إلى صفاء جوهره، ويستعد إلى ظهور الأنوار الإلهية في قلبه: كما عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه... قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به، فخرج من صفة أهل العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبوب الردى، قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره -الشدائد والمكاره- واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس)[1].

وقال (عليه السلام): (قد أحيى قلبه وأمات نفسه حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه، وأرضى ربه)[2].

---

(١) نهج البلاغة: خ٨٧.

(٢) النهج: خ٢٢٠.

إن القلب ما لم يطهر من الرذائل، والمعاصي، فإنه لا يصل إلى حقيقة القلب السليم، كما المرآة فإنها ما لم تتنظف عن الكدورات لم تستعد لارتسام الصور فيها، وستظل أسيرة الشهوات والهوى والأوجاع، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب)[1].

إن على الشباب أن يجعلوا لأنفسهم مجموعة من الأهداف لتحصيل مستقبلهم، فكما يخطط الشاب للحصول على الوظيفة والزواج، كذلك عليه أن يخطط لمستقبله المعنوي.

ولذا فإن عليهم العمل بهمة، ومنذ البداية للحصول على القلب السليم، ليجعلوا القلب السليم هدفهم الذي يرومونه.

وليكن كلام الإمام علي (عليه السلام) نصب أعيننا إذ يقول: (قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه، فمن طهّر قلبه نظر إليه)[2].

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (أوحى الله تعالى إلى داوود (عليه السلام): (يا داوود حذّر وأنذر أصحابك عن حب

---

(١) الكافي: ج٢ص٢٧٥.

(٢) غرر الحكم: ٦٧٧٧.

الشهوات، فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عنّي)[1].

ترك الذنوب أهم من عمل المستحبات:

إننا لو حاولنا ترجيح أحد الركنين على الآخر، أو قل بيان أيهما أهم وأكثر تأثيراً في تحصيل التكامل (ترك الذنوب أم عمل المستحبات)؟ ونحن هنا في مقام أيهما أفضل بمقارنة أحدهما إلى الآخر، وليس الأمر أن يتكل أحدنا على ترك الذنوب ليترك بذلك الطاعات المستحبة، فإن ذلك فيه تفويت كبير للطاعات وهي غصّة.

وعليه نقول في الجواب: إن كفة الميزان والأهمية ستكون لصالح ترك الذنوب واجتناب ما يسخطه الله تعالى ويكرهه، وقد تبين سببه قبل قليل.

وقد دلّت على ذلك بعض الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات)[2]، ومنها ما ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر جمعة من شعبان لاستقبال شهر رمضان، وسأله

---

(١) تحف العقول: ٣٩٧.

(٢) غرر الحكم: ١٥٢٢.

علي (عليه السلام) عن أفضل الأعمال في هذا الشهر قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الورع عن محارم الله)[1].

وما عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ {**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً**}الفرقان٢٣. قال: أما والله إن كانت أعمالهم أشدَّ بياضاً من القباطيّ[2]، ولكن كانوا إذا عَرَضَ لهم الحرام لم يدعوه)[3].

وعن أبو عبد الله (عليه السلام) في وصيته لعمرو بن سعيد: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)[4].

إن الورع عن المعاصي، موجب لنورانية القلب، واستقرار الطاعات لتأخذ أثرها في تغيير جوهر الإنسان، ورضا المولى عز وجل عنه، وإن الورع أساس جميع المقامات التي يحصل عليها العبد، ولا يتوقع الحصول على شيء منها بدونه، وفي الكافي

---

(١) الوسائل: ج١٠ص٣١٣.

(٢) ثياب بيضاء رقيقة من الكتان، تُعمل بمصر منسوبة إلى القبط، أنظر لسان العرب ٣٧٣/٧.

(٣) الكافي: ج٢ص٨١.

(٤) البحار: ج٧٠ص٢٩٦.

بإسناده عن يزيد بن خليفة قال: (وعظنا أبو عبد الله (عليه السلام) فأمر وزهّد ثم قال: (عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع)[1].

الذنوب في القرآن الكريم:

الذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، يقال: ذنبته أصبت ذنبه، ويستعمل في كل فعل يستوخم عقباه، اعتباراً بذنب الشيء؛ لهذا يسمّى الذنب تبعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته[2].

إن معرفة الذنوب -بمداها الواسع ومراتبها الكثيرة بحسب مستويات الأشخاص- وتحصيل القدرة على اجتنابها -صغيرها وكبيرها- مما يهتم به الساعون إلى الكمال.

فإن من لا يعرف -مثلاً- أن معيار قبول الأعمال هو التقوى، قد يحصل عنده خلط، فيقوم بالأعمال الكثيرة الخالية من التقوى، ليريد أن ينال بها ما عند الله تعالى.

لذا فقد شُغل حيز كبير من القرآن الكريم ببيان الذنوب وآثارها في الدنيا وعاقبتها في الآخرة والتحذير منها وبيان ما يكفّرها ويزيل آثارها، وأورد القرآن الكريم قصص الأمم التي

---

(١) الكافي: ج٢ص٧٦.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، مادة ذنب.

عكفت على المعاصي ولم تجتنبها وما حلّ بها من العذاب بسبب ذلك، وبعكس ذلك الحياة السعيدة لمن اجتنبها.

ويضرب القرآن الكريم أمثلة لها، والتي منها قصة امرأتا النبيين العظيمين نوح ولوط (صلوات الله عليهما وعلى نبينا الكريم وعلى جميع الأنبياء) أتيحت لهما أعظم فرصة للهداية والاستقامة {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ} ولكنهما لم تستثمرا هذه الفرصة ولم تستفيدا منها {فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}. التحريم:١٠. وبالمقابل امرأة فرعون التي عاشت في بيت الطاغية فرعون الذي يريد أن ينازع الله تبارك وتعالى في الربوبية لكنها استثارت عوامل الصلاح ونوازع الخير في داخلها فأصبحت مثلاً للنجاح {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}التحريم:١١. وعناصر كلا الاتجاهين موجودةٌ في داخل النفس {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} البلد:١٠. وهو الذي يغلّب بعضها على بعض بإرادته ونوع استجابته للمؤثرات الخارجية قال تبارك وتعالى في الزوجين المتخاصمين {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا} أي الزوجان

﴿إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ النساء: ٣٥.
فالإنسان بإرادته يستطيع أن يمنح النصر في هذا الصراع الداخلي لأحد المعسكرين.

ولو حاولنا جمع القصص القرآنية في ذلك لوجدنا أن القرآن الكريم كله يعالج هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

وبحسب ما بأيدينا من ترتيب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فإن الألفاظ التي عبّرت عن الذنوب عديدة: منها مفردة الذنب ومشتقاتها فقد وردت في القرآن الكريم أربعين مرة.

ومنها: مفردة المعصية ومشتقاتها فقد وردت أربع وعشرون مرة.

والإثم (٣٥) مرة، والسيئة (٥٩) مرة، والخطيئة (٥) مرات، واللمم (الذنوب الصغيرة) مرة واحدة.

لماذا يذنب العبد؟

إن البحث عن أصول الذنوب ومناشئها ودوافعها، يبين لنا سبب إقدام العبد على معصية مولاه سبحانه وتعالى.
ولمعرفة ذلك جنبات:

الجنبة الأولى: أنه من أي الأبواب تأتي المعاصي، أي من أين تشعبت الذنوب؟

وجوابه: إن الذنوب تشعبت من حب الدنيا: فعن الصادق (عليه السلام): (رأس كل خطيئة حب الدنيا)[1].

وتحليل ذلك في ما رواه الكليني (رحمه الله) أنه سُئل السجاد (عليه السلام): أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: (ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، فإن لذلك لشعبا كثيرة، وللمعاصي شعب، فأول ما عُصي الله تعالى به الكبر، معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله لهما {**الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**}الأعراف١٩. فأخذا ما لا حاجة بهما إليه[2]، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، فلذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية أبن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء[3]، وحب

---

(١) الكافي: ج٢ص٣١٥.

(٢) ومن الواضح انها كانت مخالفة للأولى لا بمعنى المعصية أي ارتكاب الذنب، بالنظر لعصمة آدم (عليه السلام) وكونه من الأنبياء.

(٣) إذا انتهى إلى الحرام، أو أنه لمحض الشهوة لا للعمل بالسنة.

الدنيا[1]، وحب الرئاسة، وحب الراحة[2]، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياوان: دنيا بلاغ[3] ودنيا ملعونة)[4].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أول ما عُصي الله تعالى به ست خصال: حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة[5]، وحب النساء)[6].

---

(١) حب العيش فيها وكراهة الموت، أو حب المال، وهي غير حب الدنيا التي تأتي لاحقاً.

(٢) والنوم داخل فيها كما سيأتي في أحاديث أخرى إن شاء الله تعالى.

(٣) أي تبلغ بها الآخرة.

(٤) الكافي ج٢ ص١٣٠.

(٥) حب الراحة من جهة أغراضه النفسانية ومشتهياته الدنيوية، والتي يسعى فيها إلى التحرر من العبودية، واعتبار تحصيله من دناءة هذه الدنيا من الترفعات الفانية، والرئاسات الباطلة غاية ما يسعى إليه ويتمناه.

(٦) الكافي ج٢ص٢٨٩.

وكذلك يشير إلى هذا التشعب، ومرجع الذنوب إلى أصلها، ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن)[1].

وكذلك ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء)[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): سُئل عن الإلحاد، قال: إن الكبر أدناه)[3].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (رأس الرذائل الحسد)[4].

وعنه (عليه السلام): (رأس الفضائل ملك الغضب، وإماتة الشهوة)[ ].

---

(١) علل الشرائع ج٢ ص٥٥٩. وتفسير ذلك: أي رجوع (الجبن والبخل والحرص) إلى سوء الظن بالله تعالى، ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود)غرر الحكم ١٢٥٨.) ومثله الجبن إذ فسره (عليه السلام) بأنه من ضعف اليقين. البحار ج٢ص١٣٨. وعنه (عليه السلام) في تفسير الحرص: (على الشك وقلة الثقة بالله مبنى الحرص والشحّ). غرر الحكم٦١٩٥.

(٢) النهج: حكمة ٣٧٨.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٠٩.

(٤) غرر الحكم: ٥٢٤٢.

(٥) غرر الحكم: ٥٢٣٧.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (إيَّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً؛ فإن الكفر أصله الحسد)[1] وهكذا.

الجنبة الثانية: في نابعية الذنوب من الغرائز:

لا يمكن التقليل من قوة ضغط الذنوب والخطايا على الإنسان حتى يندفع إلى ارتكابها مع كثرة ما يعرف عن آثارها الوخيمة في الدنيا وعاقبتها الفظيعة في الآخرة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (ألا وإن الخطايا خيلٌ شُمُسٌ حُمل عليها أهلها وخُلعت لُجُمها فتقحَّمت بهم في النار)[2] فالخطايا كالخيول العنيدة المتمردة على صاحبها ولا لجام لها ليمسك بها فتقتحم بصاحبها إلى المخاطر.

وهنا يأتي السؤال: من أين جاءت هذه القوة للخطايا؟ أو قل: إذا كانت الذنوب بهذه الخطورة وهذا التأثير المدمر في حياة الإنسان فلماذا يرتكبها؟

وهذا بحث نفسي واجتماعي وقد يحتاج إلى إجراء استبيان.

---

(١) الكافي: ج٨ ص٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣/٧٨، ح٥١.

أما ما نريد بيانه فهو البحث الأخلاقي فنقول: إنّ للإنسان صفات كثيرة، شرحت في الكتب الأخلاقية، ونريد الآن أن نذكر شيئاً منها له دخالة في بيان مقصودنا.

إن أصول الذنوب ودوافعها موجودة في النفس الإنسانية المعبَّر عنها بالغرائز والشهوات والتي خلقها الله تعالى لتؤدي أدواراً إيجابية في حياة الإنسان، ولتكمّل قواه، لكنها إذا خرجت عن حدّها إلى جانب الإفراط أو التفريط، كانت سبباً للوقوع في المعاصي.

وعليه فإن مناشئ الذنوب يمكن أن نحصرها بصفات أربع، وهي التي تألفت منها النفس الإنسانية، وهذه الصفات: عقلية، وشيطانية، وبهيميّة، وسبعيّة، وطينة الإنسان عجنت من هذه القوى المختلفة؛ فاقتضى كلّ واحد منها أثراً من الآثار.

إن كل من هذه القوى، وما يتفرع عنها له حدان، وهما الإفراط والتفريط[1]، والخير في الوسط حيث تكون قوى الإنسان معتدلة، وأن الجهاد الأكبر لإيصالها إلى الوسط، حيث يستخدم فيها الإنسان القوة العاقلة لدرك الحقائق، والشهوة -مثلاً-

---

١) عدا العدالة التي اختلف فيها القوم، وذهب جمع من المحققين إلى القول بأنها مع ملاحظة لازمها لها طرف واحد يسمى جوراً وظلماً، وهو يشمل جميع ذمائم الصفات.

لتناسله، والحفاظ على قواه، والسبعية للدفاع وحفظ المصالح، والشيطانية لاستخدام وجوه الحيل والاستنباط في الخير.

وعن الإمام الجواد (عليه السلام): (الفضائل أربعة أجناس: أحدها: الحكمة، وقوامها في الفكرة، والثاني: العفة، وقوامها في الشهوة، والثالث: القوة، وقوامها في الغضب، والرابع: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس)(١).

وتتجاذب هذه القوى في النفس الإنسانية، ليحدد هو مصيره بنفسه، فإن غلبت قوته العقلية صار أفضل من الملائكة، أو أن تغلب إحدى قواه الأخرى ليكون أدنى من البهائم، فالله تعالى خص الملائكة بالعقل دون الشهوة والغضب، وخص الحيوانات بهما دونه، وشرفه الله بإعطاء الجميع فإن انقادت شهوته وغضبه لعقله صار أفضل من الملائكة؛ لوصوله إلى هذه المرتبة مع وجود المنازع، والملائكة ليس لهم مزاحم.

ويمثّل اجتماع هذه القوى والغرائز في الإنسان براكب الدابة الذي يطلب الصيد، ويصحبه كلب وعين من قطاع الطريق. فالراكب هو العقل، والبهيمة هي الشهوة، والكلب هو الغضب، والعين جواسيس الشيطان، أي القوة الوهمية.

---

(١) كشف الغمة: ج٢ ص١٣٨.

فإن كان الجميع تحت تدبير الراكب ومنقادون إليه، صلح أمر الجميع، ونال الراكب صيده واغتنم.

وأما إن كانت الغلبة للبهيمة أو الكلب فسيهلك الراكب بإتباعهما، فيوردانه موارد الهلكة ويرميانه في التلال والوهاد. وإن كان الكل تحت نهي العين وأمره، وافتتنوا به، فإنه سيضلهم بتلبيسه الطريق عليهم، ليوصلهم إلى أصدقائه من قطاع الطرق[1].

وعليه فإن للقوى العاقلة بطرفيها أجناس وشعب من الرذائل: كالجربزة[2]، والجهل، والشك، والشرك، والخواطر النفسانية من الوساوس، والمكر، والاحتيال.

وأما الصفة الشيطانيّة فمنها يتشعَب الحسد، والبغي، والحيلة، والخداع، والأمر بالفساد والمنكر، وفيه يدخل الغشّ، والنفاق، والدعوة إلى البدع والضلالة.

وأما الصفة البهيميّة فمنها يتشعَب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعَب الزنا واللّواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات.

---

(١) أنظر جامع السعادات: الجزء الأول.

(٢) الجربزة: خروج الفكر عن حده اللائق به، واستخراج الدقائق غير المطابقة للواقع، وربما أدى إلى إنكار الاعتقادات، والى السفسطة.

وأما الصفة السبعيَة أو الغضبيّة فمنها يتشعَب الغضب، والحقد، والتهجّم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال، والكبر، والعصبية، ويتفرّع عنها جملة من الذّنوب.

والصفات الأربع، غلبتها لمملكة النفس الإنسانية بالتدريج، حيث تغلب البهيميّة أوّلاً، ثمّ تتلوها السبعيَة، ثمّ إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانيّة، ليصير شأنه الفخر والعلوّ وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق، نعوذ بالله تعالى من ذلك.

وهذا كلّه في حال عدم تربية النفس بالأخلاق وتهذيبها من ذمائم الصفات، ومعه ستفلت هذه القوى من عقالها، باتجاه الإفراط أو التفريط[1].

الجنبة الثالثة: في المحل الجامع للقوى التي تنبع منها الذنوب وهو القلب:

ثمّ بعد أن أوضحنا أمهات الذنوب، ومناشئها، بقي أن نقول أن الأخلاق الذميمة مغارسها القلب الملوث، حيث تسيل الذّنوب من هذه المغارس والمنابع على الجوارح.

---

(١) للتفصيل: أنظر المحجة البيضاء، الجزء السابع وجامع السعادات، الجزء الأول.

وكما هو معلوم فإن الجوارح طائعة للقلب تأتمر بأمره.

كما أن طريقة المعصية تكون بالعكس تماماً من التخلية والتصفية، ففي المعصية تسيل الذنوب من منابعها ومغارسها من القلب للجوارح، فبعضها يكون محلّه القلب خاصّة كالكفر والبدعة والنفاق، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللّسان، وبعضها على البطن والفرج، ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنّه واضح[1].

أما في التخلية فإن على العبد أن تتخلى جوارحه أولاً عن ممارسة المعاصي، فيمنع اللسان والسمع والبصر وبقية الجوارح عن المعصية، ليصل بذلك إلى العدالة الجوارحية، ومنها ينطلق لتنقية سره وقلبه بعدها، فيمنع الخواطر الشيطانية، والتفكير في المنكر، وأمثالها، ليصل بها إلى العدالة الجوانحية، حتى يصفو كدر القلب بالمرّة ويكون سليماً.

فإذا صار القلب سليماً، فإنه سيكون أبعد ما يكون عن المعاصي والذنوب، وستجده يتقزز منها، وينفر عنها، ولا يتكلف الابتعاد عنها، وستجد الجوارح طائعة لينة له، فالقلب إمام الجوارح، وهي رعيته.

---

(١) للتفصيل راجع المحجة البيضاء: الجزء السابع.

الجنبة الرابعة: التحلية بالعقل وجنوده، والتخلية من الجهل وجنوده:

ثم إن للفضائل والرذائل جامع آخر باعتبار، وهو ما ورد في الكافي عن الصادق (عليه السلام): (إن الله خلق العقل - وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أقبل فأقبل، فقال الله تعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرمتك على جميع خلقي. قال: ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانياً، فقال له، أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت، فلعنه.

ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب، هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضده ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت... ولا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل

وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته، ومرضاته)[1].

ولا نحتاج من هذا الإلمام أكثر من ذلك فلا نزيد.

كما يمكن الاستفادة من بعض مناشئ الذنوب التي وردت في الروايات الشريفة، بتركيز الالتفات إليها في اجتنابها وتوقيها، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (توقّي الصرعة خير من سؤال الرجعة)[2]:-

- **الجهل بمقام الربوبية ووظائف العبودية:** فإن من يعرف الله تعالى يتجنب المعاصي بمقدار تلك المعرفة، ويؤتيه الله تعالى فرقاناً يميز به بين الحق والباطل {**إِنْ تَتقوا اللّهَ يَجعَل لَكُم فُرقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِرْ لَكُم وَاللّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**}.الأنفال:٢٩. حتى إذا بلغ الدرجات العالية من الكمال أصبح عبداً خالصاً لله تعالى ينفر بطبعه من المعصية ويتقزز منها، فهو يدرك قباحتها ويرى ملكوتها، فمن رأى الغيبة على حقيقتها ووجدها أكلاً للحم أخيه ميتاً هل يقدم عليها؟ ومن

(١) الكافي ١/٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨/١٨، ح٣١.

رأى الدنيا جيفة قد اجتمعت عليها الكلاب هل يتنافس عليها؟ وهكذا.

روى الكليني (أعلى الله مقامه) بإسناده عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله، وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: ألزم ما أنت عليه. فقال الشاب: أدع لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستشهد بعد تسعة نفر، وكان هو العاشر)[1].

وفي رواية عبد الله بن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام): حيث يتبين أن هذا الشاب كان حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، ويتبين في رواية القاسم بن بريد عن أبي بصير، أنه استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

ثم أن الجهل بأمور الدين يوقع الإنسان في الكثير من المعاصي، فما دام الإنسان لم يتفقه في دينه ولم يتعرف على ما يقربه إلى الله تعالى ويجنبه سخطه فإنه يتورط في المعاصي من حيث يعلم أو لا يعلم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (جهل المرء بعيوبه من أكبر

---

(١) الكافي ج٢ ص٥٣.

ذنوبه)[1]؛ وكتطبيق لهذا المبدأ فقد ورد في التجارة قول الإمام الصادق (عليه السلام): (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحلُّ له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات)[2].

والتحذير لا يختص بالتجارة وإنما يعم كل شؤون الحياة؛ لأنها كلها مقنَّنة بأحكام في الشريعة، فالجهل بها يوقع في المعصية كجهل ربّ الأسرة بأن كثيراً مما يفعله في البيت هو ظلم لزوجته وأسرته، والظلم ذنب لا يغفر حتى يرضى المظلوم.

- **معاضدة الشيطان للدوافع والغرائز:** وذلك بالتزيين والإغواء والتطمين والتهوين من الأمر، حتى يقارف الذنب والمعصية قال تعالى حاكياً عن إبليس: **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**.الحجر: ٣-٤٠. وفي دعاء للإمام السجاد (عليه السلام): (فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا

---

(١) بحار الأنوار: ٩١/٧٨، ح ٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٢، كتاب التجارة، أبواب،/ آداب التجارة، باب ١، ح٤ .

أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقك ضال)[1]. وقد ورد التحذير من إغراء الشيطان وإغوائه كثيراً في القرآن الكريم والروايات الشريفة مما لا يخفى على أحد.

هذا التزيين الشيطاني وهذه الموافقة لأهواء النفس وشهواتها جعلت للخطايا تأثيراً ساحراً يسكر صاحبه حتى يتورط فيها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (احذروا سكر الخطيئة، فإن للخطيئة سكرا كسكر الشراب، بل هي أشدُّ سكراً منه، يقول الله تعالى:{**صُمٌّ بُكْمٌ عميٌ فهم لا يرجعون**}. البقرة:١٨)[2].

- **الاغترار بالستر الإلهي على العاصين**: وعدم فضح الإنسان بذنبه (فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفتُ تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنك أهون الناظرين إليَّ وأخفُّ المطلعين عليَّ بل لأنك يا ربِّ خير الساترين.. وأكرم الأكرمين .. تستر الذنب بكرمك

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ٧٧/١٠٢، ح١.

وتؤخر العقوبة بحلمك) (الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي)[1].

وذلك كله لسعة رحمة الله وطول أناته على ذنوب عباده رحمة بالعباد وإعطاءهم مزيداً من الفرص للندم والرجوع والإقلاع عن الذنب، وحبّاً من الله لعباده وشفقة عليهم، فيتمادى الإنسان ويغتر، ظاناً أن الفرصة مفتوحة على الدوام، ولا يعلم أنه قد يوصله تماديه واغتراره إلى حد هتك الستر وانغلاق الباب وسدَ الفرصة، قال تعالى: {**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**}النساء: ١٧-١٨.

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): (رُبَّ مغرورٍ مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً يأكل ويشرب، وهو

---

(١) المقطعان من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

لا يدري لعلّه سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم)[1].

- **استصغار الذنب والاستخفاف به:** لما ارتكز في الذهن من أن الذنوب الموعود بها النار هي الكبائر أما غيرها فيمكن ارتكابها. وهذا التفكير بحد ذاته من الكبائر لما فيه من الجرأة على الله تعالى وعدم الاعتبار بعظمته وعلو شأنه وهو موجب لسخط الله وسلب اللطف عن العبد فتؤدي به هذه الصغائر إلى الوقوع في الكبائر والعياذ بالله.

لذا كثر التحذير من استصغار أي ذنب. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تستصغروا قليل الآثام فإن الصغير يُحصى ويرجع إلى الكبير)[2].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتى رموا بين يديه

---

(١) تحف العقول، ص٢٨٢.

(٢) الخصال: ٦١٦، ح١٠.

بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالبا. ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين)[1].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنب صغر عند صاحبه)[2]. وعنه (عليه السلام): (إن الله أخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغروا شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم)[3].

- **الغفلة:** فإن كثيراً من الذنوب -وبعضها من الكبائر- ترتكب لا للجهل بها وإنما للغفلة التي تطبق على قلب العبد، كالغيبة التي يُعلم أنها من الكبائر ووصفها الله عز وجل بأشنع الأوصاف وهي (إدام كلاب النار)[4].

---

(١) الكافي: ٢/٢٨٨، ح٣.

(٢) غرر الحكم، رقم ٣١٤١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٤٩/٧٣، ح٤٣.

(٤) الوسائل ج١٢ص٢٨٣.

ومع ذلك فقد أصبحت الغيبة فاكهة المجالس والمادة الرئيسية لأحاديث الناس، فينبغي للمؤمن أن يتجنب الغفلة بترك المقدمات الموجبة لها، وإذا عرضت عليه فليخرج منها فور التفاته؛ بذكر الله تعالى، قال عز وجل: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**}. الأعراف:٢٠١. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الغفلة ضلالة)[١] وعنه (عليه السلام): (إياك والغفلة والاغترار بالمهلة، فإن الغفلة تفسد الأعمال)[٢]. ومن وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (هُمَّ بالحسنة وإن لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين)[٣].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سُكر الخمور)[٤].

---

(١) غرر الحكم: ١٩٦، ٢٧١٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٢٢٨٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢/٣٧٨.

(٤) غرر الحكم:٥٦٥١.

- **سوء الخلق:** عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكل ذنب توبة إلا سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب)[1].

- **الاختلاط الكثير مع الناس ومجالسة البطّالين:** والخوض في فضول الكلام، فهذه الأمور كلها مظنة الوقوع في الذنوب والمحرمات؛ لذا ورد التحذير من حضور هذه المجالس والمشاركة في اللغو الباطل، فحكى القرآن الكريم عن أهل النار قولهم {**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**} المدثر:٤٥.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (مجالسة أهل الهوى منسأة[2] للإيمان ومحضرة للشيطان)[3].

وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثر الناس ذنوباً: أكثرهم كلاماً في ما لا يعنيه)[4]. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إياك والهذر، فمن كثر كلامه كثرت آثامه) وعنه (عليه

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨/٧٧، ح٣.

(٢) منسأة بفتح الميم والهمزة: أي تأخير وتأجيل.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٦.

(٤) والحديثان بعده منتخب ميزان الحكمة: ٥٥٢.

السلام): (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورِقك، فرُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة).

سوء فهم بعض ما ورد في الروايات الشريفة: من الثواب على بعض الأفعال كدخول الجنة بالبكاء على الحسين (عليه السلام) وإقامة شعائره وشفاعة أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أعطى الله تعالى هذه الكرامات لأهل البيت (سلام الله عليهم) رحمة بالعباد لكي تسدَّ الخلل والتقصير والقصور مع حسن النية والعزم على فعل الخير والطاعة وبذل الوسع في ذلك، وليس بأن تكون سبباً للتمادي والجرأة والعناد واللجاجة، قال تعالى: **{وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى}**.الأنبياء:٢٨. وقال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}**. الأعراف: ١٥٦. وكما عبَّر الإمام الرضا (عليه السلام) عن إعطاء هذه الدرجات أنه

(بشروطها وأنا من شروطها) في حديث سلسلة الذهب المعروف[1].

وقد حذّر الإمام الصادق (عليه السلام) في وصيته عند وفاته وقد جمع أقرباءه ومتعلقيه وقال: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة)[2] وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لا تتهاون بصلاتك، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته)[3].

---

(١) الحديث في أمالي الصدوق ص٢٥٣، المجلس الحادي والأربعين، وفي البحار ج٣ ص٧: (لما وافى ابو الحسن الرضا (عليه السلام) نيسابور اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول سمعت أبي جعفر بن محمد يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي علي بن الحسين يقول أبي الحسين بن علي يقول سمعت أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول سمعت جبرائيل يقول سمعت الله جل جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال (الراوي): فلما مرّت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها).

(٢) مستدرك الوسائل: ٢٥/٣، ح٢٩٢٣.

(٣) الكافي: ٢٦٩/٣، ح٧.

وقد لخّص الإمام السجاد (عليه السلام) ذكر هذه الأسباب لمقارفة الذنوب بما ورد عنه في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الذي يدعى به في أسحار شهر رمضان، قال (عليه السلام): (إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخى عليّ). وقال (عليه السلام): (إلهي ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي ... سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك

بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني..)[1].

كيف نحصّل القدرة على اجتناب الذنوب؟

إن اجتناب الذنوب يحتاج أولاً إلى **معرفة تفصيلية بها** لأن بعضها وإن كان معلوماً كالكبائر إلا أن الكثير منها غير معلوم وبعضها لا يلتفت إليها أحد كعدم قضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بها، ففي رواية عن الإمام الصادق وولده الكاظم (عليهما السلام): (من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلّط عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً)[2].

وهكذا غيرها مما ذكرناه في خطاب سابق[3] وذكرنا أمثلة عليها من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام)، ففي الصحيفة السجادية يلفت نظرنا الإمام (عليه السلام) إلى ذنوب نغفل عنها

---

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي، تجده في مفاتيح الجنان، أعمال أسحار شهر رمضان.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٥، ح٥، ٩، ١٠.

(٣) أنظر (ذنوب قلما لا يلتفت) في كتاب خطاب المرحلة، الجزء السابع.

وهي تتعلق بالعلاقات مع الآخرين، ولك أن تقيس عليها غيرها مما لا يعلمه إلاّ الله تبارك وتعالى، قال (عليه السلام) في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم: (اللهم إنّي اعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره، ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره، ومن ذي فاقة سألني فلم أُوثره. ومن حقّ ذي حقٍ لزمني فلم أوّفره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره)(١).

وهذا يتطلب تفقهاً واطلاعاً مستمراً على كتب السلف الصالح والاستماع دائماً إلى المحاضرات الإرشادية والوعظية.

ومما يقلل فرصة ارتكاب الذنب **زيادة المعرفة بالله تعالى وتقوية العلاقة به تبارك وتعالى**، كتذكر أنه محسن إلينا بما لا يعد ولا يحصى من النعم، و **{هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ}** الرحمن:٦٠. و**{أَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}**. القصص:٧٧.

---

(١) الصحيفة السجادية، من دعائه (عليه السلام) في الاعتذار وفكاك رقبته من النار، ص١٣٢

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يُعصى شكراً لنعمته)[1]، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث قال: (ولو لم يخوّف الله الناس بجنة ولا نار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه لتفضله عليهم وإحسانه إليهم وما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقوه)[2].

أو **الالتفات إلى أن الذنوب تمنع بعض عطاء الله تبارك وتعالى** ونحن محتاجون إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) المؤمنين (عليه السلام): (لو لم يرغّب الله سبحانه في طاعته لوجب أن يطاع رجاء رحمته)[3].

أو **تذكر أنك بمحضر الله تبارك وتعالى** وتحت نظره ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض **{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}**. غافر:١٩. فمعصيته والحال هذه جرأة على جبار السماوات والأرض وتحدٍ لعظمته.

ومن وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت) ومن

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢.

(٣) غرر الحكم: ٧٥٦٤.

كلماته (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا إلى من اجترأتم)[1].

أو أن **يلتفت إلى أن هذا الذنب قد يوجب هتك الستر الذي** ضربه الله تعالى عليه فتفضحه الذنوب، أو أن ينال به سخط الله تعالى وغضبه بحيث لا تنفعه توبة ولا تدركه الألطاف الإلهية، فقد أخفى الله غضبه في معصيته، فلا يُعلم أي معصية توجب ذلك فعلى العبد أن يتوفاها جميعاً.

من دعاء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان)[ ].

وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (للمؤمن اثنان وسبعون ستراً فإذا أذنب ذنباً انهتك عنه ستر، فإن تاب رده الله إليه وسبعةً معه، وإن أبى إلا قُدُماً قُدُماً في المعاصي تهتك أستاره، فإن تاب ردها الله إليه ومع كل ستر منها سبعة، فإن أبى إلا قُدماً قدماً في المعاصي تهتك أستاره وبقي بلا مستر وأوحى الله تعالى إلى ملائكته أن استروا عبدي بأجنحتكم)[3].

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٧٧، ح٦.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء الصباح.

(٣) بحار الأنوار: ٦٣/٧٣، عن نوادر الراوندي: ٦.

وعن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام)قال: قال: أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما من عبد إلا وعليه أربعون جنة حتى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن، فتقول الملائكة من الحفظة الذين معه: يا ربنا هذا عبدك قد انكشفت عنه الجُنن، فيوحي الله عزَ وجلَ إليهم أن أستروا عبدي بأجنحتكم فتستره الملائكة بأجنحتها، فما يدع شيئاً من القبيح إلا قارفه، حتى يمتدح إلى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع شيئاً إلا ركبه، وإنَا لنستحيي مما يصنع، فيوحي الله إليهم أن أرفعوا أجنحتكم عنه، فإذا -فعل ذلك- أخذ في بغضنا أهل البيت، فعند ذلك يهتك الله ستره في السماء ويستره في الأرض فتقول الملائكة: هذا عبدك فلان قد بقي مهتوك الستر، فيوحي الله إليهم: لو كان لي فيه حاجة ما أمرتكم أن ترفعوا أجنحتكم عنه)[1].

وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من همَ بسيئة فلا يعملْها فإنه ربما يعمل العبد السيئة فيراه الرب تعالى ويقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً)[2].

---

(١) البحار: ج٧٠ ص٣٥٤.

(٢) سفينة البحار: ٢١٦/٣، بحار الأنوار: ٣٠٨/٧٣.

ومما يساعد على تجنب المعاصي أن يعلم بأن في ارتكاب الذنب إيذاءً وإساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) ولفاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) ونحن نحبهم ولا نريد إيذاءهم وهم مطّلعون على أعمال العباد، كما نطقت به الآية الكريمة: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}. التوبة: ١٠٥.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما لكم تسوؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال رجل: جُعلتُ فداك وكيف نسوؤه؟ قال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية الله ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله وسرّوه)[1].

ومن المعرفة الموجبة لتجنب المعاصي الالتفات إلى الهدف من وجودنا في هذه الدنيا وما ينبغي أن نصرف أعمارنا فيه مما يوصل إلى الغاية، وحينئذ سوف لا يكون للإنسان مجال للعب والعبث واللهو فضلاً عن ارتكاب المعاصي.

---

(١) مجالس المفيد: ١٩٦، المجلس ٢٣، ح٢٩.

عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض)[1].

ومما يحفّز على ترك الذنوب معرفة آثارها في الدنيا والآخرة، ونتعرض هنا لبعض آثارها في الدنيا، أما في الآخرة ابتداءً من الموت وما بعده من أهوال البرزخ والحساب ويوم القيامة فإن في القرآن الكريم ما يكفي لبيان تلك العظائم {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} (الحج:٢) {يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً}. المزمل:١٧. {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. البقرة:٨١. {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}. الأنعام:١٥. {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. النمل:٩٠. وأهون ما يذكر من تلكم الآثار الحجب عن النعيم مدة قد تطول كثيراً، ففي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨/٣٠١، ح ١.

الله عليه وآله وسلم): (إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن)[1].

إلى جنب ذلك فإننا نلاحظ أن أكثر الناس التي تقع في المعاصي والذنوب، هم ممن لاحظنا **علامات الفراغ العقائدي والفكري** بادياً عليهم.

وعليه فإن المطلوب أن يملي العبد هذه الفراغات، بأشكال كثيرة من الطاعات، كالمطالعة، وزيارة ذوي الأرحام والحقوق، وزيارة مراقد المعصومين (عليهم السلام) وغيرها.

ولا نغفل القول عن نقطة جوهرية في الحديث عن الذنوب، وهي في **طلب العصمة من الله تعالى**، فإن على الإنسان أن يلتجئ إلى الله تعالى ليعصمه **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أحد أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**. النور٢١.

آثار الذنوب:

إن معرفة هذه الآثار الوخيمة للذنوب توجب على كل عاقل اجتنابها. عن الإمام علي (عليه السلام): (عجبت لأقوام

---

(١) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح١٩.

يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار)[1] وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار)[2].

وقد حصلنا من الروايات على جملة من تلك الآثار:

- **قصر العمر وتعجيل الفناء:** بحيث يظهر من أقوال المعصومين شيء عجيب وهو: أن أكثر الناس لا يبلغون أعمارهم المقدرة بسبب الذنوب مما يسمى بالأجل المخروم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر)[3]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار)[4]، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (تجنبوا البوائق يُمَدُّ لكم في الأعمار)[5].

---

(١) تحف العقول: ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦٩/٦٢، ح ٦٠.

(٣) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ٨٣/٧٨.

(٤) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ١٤٠/٥.

(٥) عيون أخبار الرضا: ٣٦/٢.

ومن الذنوب التي اشتهر أنها تعجل الفناء قطيعة الرحم، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة، عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان)[1].

- إن الذنوب سبب للمصائب والآلام: والنكبات التي يتعرض لها الفرد والمجتمع، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أما إنه ليس من عرق يُضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾** (الشورى:٣٠) ثم قال (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)[2]، وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها) وقد تستحدث لهم

---

(١) ميزان الحكمة: ٣٨٣/٣، ح٦٨٥٧.

(٢) أصول الكافي: ٢٦٩/٢، باب الذنوب، ح٣، وللمزيد من الاطلاع راجع قائمة بالذنوب التي تغيّر النعم والتي تنزل النقم والتي تهتك العصم والتي تعجّل الفناء والتي ترد الدعاء في بحار الأنوار: ٣٧٥/٧٣-٣٧٦ عن معاني الأخبار للصدوق: ٢٧٠-٢٧١.

بلاءات لم يكن يعرفونها من قبل، في الكافي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)[1].

- **إنها توجب اسوداد القلب وانغلاقه:** فلا يستجيب للهداية، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان أبي يقول: ما من شيء أفسد من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)[2] أي يصبح كالإناء المقلوب فلا يحتفظ بشيء من الحق والهدى ولا تؤثر فيه الموعظة، وفيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً) وشاهده من كتاب الله قوله تعالى: **{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوايَكْسِبُونَ}**. المطففين:١٤.
- **نقص الرزق:** في الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيُزوى -أي يقبض ويصرف- عنه

(١) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح٢٩.
(٢) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح١.

الرزق)[1] وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا غضب الله عز وجل على أمة ولم يُنزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تربح تجّارها ولم تُزك ثمارها ولم تغزر أنهارها وحبس عنها أمطارها وسُلّط عليها شرارها)[2].

- **الحرمان من الطاعات:** خصوصاً المهمة منها كصلاة الليل أو النوم عن صلاة الصبح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الرجل يذنب الذنب فيُحرم من صلاة الليل وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم)[3].

- **زوال النعم:** قال تعالى: {**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**}. الرعد:١١. في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله قضى قضاءً حتماً ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها حتى يحدث العبد ذنباً

(١) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح ٨.
(٢) ثواب الأعمال: ٣٠٥، الخصال: ٣٦٠/٢، الباب ٧، ح ٤٨.
(٣) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح ١٦.

يستحق بذلك النقمة)[1] وعنه (عليه السلام): (إن الله عز وجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون)[2].

---

(١) أصول الكافي: ٢٧٣/٢، باب الذنوب، ح٢٢.

(٢) البحار: ج١٤ ص٤٥٨.

وضرب القرآن الكريم مثلا في سبأ[1] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن

---

(١) بيان الشاهد: أنه كان لأهل سبأ بساتين ورياض غناء عن يمين بلادهم وشمالها وطلب منهم ربهم أن يشكروا نعمه فأعرضوا فأرسل عليهم سيلاً من المطر الشديد والجرذ الذي نقب السد جزاء لتمردهم، وجعل لهم على طول المسافة بينهم وبين الشام قرى ليستريحوا ويتزودوا لسفرهم فكانوا يقيلون في قرية ويبيتون في أخرى حتى يصلوا آمنين من المخاوف والمضار فقال العصاة: باعد بين أسفارنا أي أزل القرى واجعل المسافات شاسعة في الصحراء ليصعب على غير التجار والمتمولين والمترفين السفر والتجارة ويحرموا الفقراء ويتباهوا عليهم باتخاذ المراكب.

سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}. سبأ ٢١.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من الذنوب التي تغير النعم وتعجّل عقوبتها البغي على الناس.

- **عدم استجابة الدعاء:** والإبطاء في تحقيق ما يطلبه الداعي، قال الباقر (عليه السلام): (إن العبد ليسأل الحاجة من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء فيذنب العبد عند ذلك ذنباً فيقول الله للملك الموكل بحاجته لا تنجز له حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني)(1).

- **نكد الحياة وشقاؤها وتعاستها:** قال تعالى: {وَمَن أَعرَضَ عَنْ ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيَامَةِ أعمَى}. طه:١٢٤.

وقال تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ، وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ

---

(1) الاختصاص: ٣١.

ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}. الزخرف: ٣٦-٤٠.

فمن يتعامى عن الحق واتباعه يخلّي الله تعالى بينه وبين شيطانه يغويه ويصده (عليه السلام) سبيل الله ويكون ملازماً له فيشقيه ويتعبه {**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**}. فصلت: ٢٥.

- **تشوّش الفكر** وانشغال الذهن وسوء الحفظ والحرمان من العلم النافع المقرّب إلى الله تعالى، بسبب الصراع الذي يعيشه ووخز الضمير وخوف الفضيحة والعقاب، والذلة الباطنية التي يحسّ بها، ولحرمانه من لطف الله تعالى، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه)[1]، وهو ما عبّر عنه الشاعر:

شكوتُ إلى حكيمٍ سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

---

(١) بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٣، ح١٤.

وعـلّله بـأن العـلــم نــورٌ
ونـور الله لا يـؤتى لعاصي

- **إن أثر الذنوب يعم المجتمع كله:** حتى يتضرر به الآخرون، قال تعالى: {**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**}. الأنفال: ٢٥. وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (الذنب شؤم على غير فاعله، إن عيًره ابتلي، وإن اغتابه أثم، وإن رضي به شاركه)[١].

والخلاصة:

أنه إذا أراد الإنسان أن يوفقه الله تعالى للمزيد من طاعته فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن يحيى حياة مطمئنة سعيدة صافي البال فليترك الذنوب.

وإذا أراد طول العمر بخير وعافية وسعة رزق فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن تدوم عليه نعم الله وتقل عليه المصائب فليترك الذنوب.

وإذا أراد سلامة القلب واللحاق بالصالحين فليترك الذنوب.

---

(١) منتخب ميزان الحكمة: ح٢٤٢٠.

ولذا كان يوم العيد الحقيقي هو كل يوم لم تجترح فيه ما يكرهه الله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الأعياد: (إنما هو عيدٌ لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)[1].

العواصم من الذنوب:

وعلى رأس العواصم من الذنوب -وهو الأصل فيها- **اللطف الإلهي** الذي به عصم الله تعالى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف:٢٤. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ الإسراء: ٧٤.

في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داوود النبي (عليه السلام) أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، قال: فأتاه داوود (عليه السلام) فقال له: يا دانيال، إني رسول الله إليك وهو يقول لك: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٨.

فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فقال له دانيال: قد بلغت يا نبي الله.

قال: فلما كان في السَحَر قام دانيال وناجى ربه فقال: يا رب إن داوود نبيك أخبرني عنك: إني عصيتك فغفرت لي، إني عصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أني إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزتك لأعصينك ثم لأعصينك، ثم لأعصينك، إن لم تعصمني)[1]، أي: يا رب إنك إن وكلتني إلى نفسي فإني لا أستطيع أن أعصمها من الذنوب إلا أن تعصمني أنت برحمتك.

ومن العواصم الدعاء والذكر واليقظة كلما اعترته، قال تعالى: {**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}. النحل:٩٩. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أكثر الدعاء تسلم من سَورة الشيطان)[2]، وقال (عليه السلام): (تحرَّز من إبليس بالخوف الصادق)[3].

ومنها: تجنب الحضور والتواجد في الأجواء المساعدة على المعصية لقطع منافذ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بحيث يصبح ارتكاب المعصية متعذراً، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦٢/٧٣، ح٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٩/٧٨، ح٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٤/٧٨، ح١

(ثلاث من حفظهن كان معصوما من الشيطان الرجيم ومن كل بلية: من لم يخلُ بامرأة ليس يملك منها شيئاً، ولم يدخل على سلطان، ولم يُعِن صاحب بدعة ببدعته)[1]؛ والإكثار من الوجود في المساجد ومجالس الصالحين فإنها تمنع من الوقوع في الذنب، قال علي (عليه السلام): (من العصمة تعذر المعاصي)[2]، وعنه (عليه السلام): (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان: ... أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً)[3].

ومنها: المراقبة والمحاسبة الدقيقة والمستمرة للنفس، والأحاديث الآمرة بذلك كثيرة، روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي هاشم الجعفري قال: (سمعت أبا محمد (عليه السلام) يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء، فأقبل عليَّ أبو محمد (عليه السلام) فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك فإن الإشراك في الناس أخفى من دبيب

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/١٩٧، ح٣٢.

(٢) نهج البلاغة: ٥٣٥، الحكمة ٣٤٥.

(٣) الخصال: ج٢، باب الثمانية، ح١٠.

الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن دبيب الذر على المسح الأسود)[1].

ومنها: **استعظام الذنب واستفضاع عاقبته**، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلاً وبيلاً، وإذا أراد بعبد شراً أنساه ذنوبه)[2].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرَّ على أنفه).

ومنها: **عدم الإعجاب بالنفس**، وما يصدر منها من طاعات؛ لأن ذلك يوجب إيكال العبد إلى نفسه فيذنب حتى يكون له واعظاً ومؤدبات من نفسه، في الكافي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب أبداً)[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٣، ح٧٨.

(٢) والذي بعده تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٧٥/٣، ح ٦٧٩٤، ٦٧٩٥.

(٣) أصول الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، ح١.

مكفّرات الذنوب:

إن الله تعالى يعلم ضعف العبد عن مسك زمام نفسه الأمّارة بالسوء ومقاومة غواية الشيطان وتزيين الشهوات ويعلم بجهل الإنسان بعواقب أفعاله، وهو أشفق على عباده وأرحم بهم من أنفسهم، وأكرم من أن يقابلهم على سيئاتهم بمثلها، قال تعالى: **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً}**. فاطر:٤٥. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)[1]، في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أيدِكُم ويَعفُو عَن كَثِيرٍ}**. الشورى: ٣٠.

فضاعف سبحانه وتعالى لهم الحسنات وتمهل في تسجيل السيئات، في الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا همّ العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا همّ بسيئة لم تكتب عليه فإذا عملها أجّل تسع ساعات فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تكتب عليه وإن لم

---

(١) أصول الكافي: ٢/٢٦٩، باب الذنوب، ح٣.

بآدم ولم يذنب كتبت عليه سيئة واحدة)[1]، وفي رواية أخرى: قال الله تبارك وتعالى: (قد جعلت لهم التوبة و بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس الحنجرة، قال يا رب حسبي)[2] أي قال آدم (عليه السلام) حسبي تلك الفضائل لذريتي مما كان للشيطان من التأثير عليهم.

ثم لم يكتف سبحانه بكرمه ورحمته بذلك بل جعل لهم مكفرات لذنوبهم حتى يخفف عنهم أوزارهم التي احتملوها على ظهورهم بسوء أفعالهم ويلاحظ على تلك المكفرات أن بعضها اختيارية وبعضها غير اختيارية، فالاختيارية أفعال ينبغي للإنسان أن يقوم بها ليكفر بها عن سيئاته وإن لم يفعل ابتلي بغير الاختيارية وهي أشق عليه، لذا ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك)، أما غير الاختيارية -كالأمراض- فهي أمور تعرض للإنسان بسبب منه أو من غيره فيعتبرها الله تعالى بكرمه كفارة الذنوب من تعرض لها، فعلى الإنسان أن يسعى بجد في طلب المغفرة والتكفير عن ذنوبه بالأسباب الاختيارية، وأن لا يجزع إذا

(١) الخصال: ٤١٨/٢، باب التسعة، ح١١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤٩/٧١، ح١١.

حصل له ما يكفر الذنوب، فإن بقاء ذنب واحد عليه إلى يوم القيامة كاف لفضيحته وإيلامه.

لذا ورد في أدعية شهر رمضان الاستعاذة من انقضائه أو انقضاء الليلة التي هو فيها وقد بقي عليه ذنب أو تبعة يؤاخذه بها: (إلهي وأعوذ بوجهك الكريم وبجلالك العظيم أن ينقضي أيام شهر رمضان ولياليه ولك قبلي تبعة أو ذنب تؤاخذني به أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي سيدي سيدي سيدي)[1].

من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لابن مسعود: (يا ابن مسعود: لا تحقرن ذنباً ولا تصغرَنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالى: **{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَّا عَملَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً}**. آل عمران:٣٠. يا ابن مسعود: إذا قيل لك: (اتق الله) فلا تغضب فإنه يقول: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ}**. البقرة:٢٠٦)[2].

---

(١) من أدعية العشر الأواخر في شهر رمضان.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٧٧.

أما مكفرات الذنوب فهي:

١- التوبة والاستغفار بصدق:

والتي تتضمن بحسب بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) لمعنى الاستغفار الندم على ما صدر منه وعقد العزم بصدق على عدم العود ورد المظالم إلى أهلها وتدارك ما فاته من التقصير، وحينئذ يكفِّر الله سيئاته وينسي الملائكة الحافظين ما كتبوا وكل الشهود بما فيهم جوارحه ويمحو عنه آثار تلك الذنوب والخطايا، ويكتب له بدل ذلك كله حسنات، قال تعالى: {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} الفرقان:٧٠.

٢- القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:

قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}. هود:١١٤. {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً}. الطلاق:٥.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها)[1]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوصيكم بتقوى الله .. وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أسقامكم).

وورد هذا الأثر في أعمال كثيرة كزيارة الحسين (عليه السلام) وإحياء ليلة القدر وصوم بعض الأيام المعينة وبعض الصلوات المستحبة، وهي مذكورة في كتب السنن والمستحبات، نذكر منها ما روي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: (ثلاث ليالي من زار فيها الحسين (عليه السلام) غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان والليلة الثالثة والعشرون مهر رمضان وليلة العيد) وورد في صوم ثلاث أيام الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم وهي (محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة) أنها كفارة ذنوب تسعمائة عام وهكذا.

٣- الصلاة في أوقاتها:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء؟ إنما الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما

---

(١) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣/٣٨٧-٣٨٨، ح٦٨٩٣، ٦٨٩٥.

صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه)[1].

ونبه دائماً إلى أن مثل هذه الأمور تلحظ مع شروطها كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو صلّيتم حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع)[2]، وكقول الإمام الصادق (عليه السلام): (من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب)[3].

٤- الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المؤمن إذا قارف الذنوب ابتلي بها بالفقر، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالمرض، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا

(١) بحار الأنوار: ٢٣٦/٨٢، ح٦٦.
(٢) بحار الأنوار: ٢٥٨/٨٤، ح٦٥.
(٣) الكافي: ٢٢٦/٣، ح١٢.

ضيق عليه عند خروج نفسه، حتى يلقى الله حين يلقاه وما له من ذنب يدعيه عليه فيأمر به إلى الجنة)[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة)[2].

٥- رعاية حرمة شهر رمضان:

من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في وداع شهر رمضان (السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب) (السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطايا) حتى روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (سمّي شوال شوالاً لأنّ فيه شالت -أي ارتفعت وذهبت- ذنوب المؤمنين فلم يبق فيه ذنب إلا غفره الله تعالى ببركة صيام شهر رمضان فإن أجر كل أجير يعطى عند ختمه للعمل)[3].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٥، ح٦٨٦٩.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٥، ح٦٨٧٣.

(٣) مصابيح الجنان: ٥٩٩ عن السيد في الإقبال.

٦- الأمراض:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (السقم يمحو الذنوب)[١]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حمى ليلة كفارة سنة)[ ].

٧- الأحزان والهموم:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا كثرت ذنوب المؤمن ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه)[٣]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ساعات الهموم ساعات الكفارات، ولا يزال الهم بالمؤمن حتى يدعه وما له من ذنب).

---

(١) الأحاديث الثلاثة في ميزان الحكمة: ٣٨٦/٣، ح٦٨٧٦، ٦٨٧٧، ٦٨٦٨.

(٢) البحار: ج٨٦ص١٨٦.

(٣) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٨٦/٣-٣٨٧، ح٦٨٨٥، ٦٨٨٨.

٨- إتيان المساجد:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بإتيان المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكتب من زوّاره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء)[1].

٩- العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:

لأن هذه من أخلاق الله تبارك وتعالى وهو يجازي من اتصف بها بأكثر منها، قال تعالى: {**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}. النور:٢٢. روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة)[2]، ولكن مع الالتفات إلى معنى العفو ومنه ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما عفا عن الذنب من قرَّع به)[3]. وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم إنك

---

(١) منتخب ميزان الحكمة: ٣٠٧، ح٢٩٢٨.

(٢) منتخب ميزان الحكمة: ٤٣٩، ح ٤٣٢٩.

(٣) غرر الحكم: ٩٥٦٧.

أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا فإنك أولى بذلك منا)[١].

١٠- اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستنان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال:

قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. آل عمران:٣١.

١١- إغاثة الملهوف:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب)[٢].

١٢- كفارات خاصة:

إن بعض الذنوب والتقصيرات لها كفارات خاصة، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إن من

---

(١) من دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٨، ح٦٨٩٩.

الذنوب ذنوباً لا يكفَرها صلاة ولا صوم، قيل يا رسول الله، فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة)[١].

وما ورد في القول المشهور: (كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان).

وما في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)[٢].

ومن الكفّارات الخاصة ما ورد عند القيام من أي مجلس أو انفضاض أي لقاء أو اجتماع كان مشوباً بالغفلة عن الله تعالى فيقول: ﴿سُبحَانَ ربّكَ رَبّ العزّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبّ العَالَمِينَ﴾.

١٣- حسن الخُلُق:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[٣].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٧، ح٦٨٨٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح٦٩٠٢.

(٣) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٨، ح٦٨٩٨.

١٤- كثرة السجود:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أكثر من السجود فإنه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر)[١].

١٥- الحج والعمرة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحجة المتقبلة ثوابها الجنة، ومن الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)[٢]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله .. حج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب).

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح٦٩٠١.

(٢) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح٦٩٠٢، ٦٩٠٣.

١٦- افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك)[١].

١٧- الصلاة على محمد وآله:

قال الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً)[٢].

١٨- سكرات الموت:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموت كفارة لذنوب المؤمنين)[٣].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٥.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٦.

الفصل الثاني :

كيف نفهم استغفار الأئمة (عليهم السلام) من الذنوب؟

كيف نفهم استغفار الأئمة (عليهم السلام) من الذنوب؟[1]

ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (ثم إني يا إلهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت أنا الذي هممت، أنا الذي جهلت..) إلى أن يقول (عليه السلام): (إلهي أمرتني فعصيتك ونهيتني فارتكبت نهيك)[2].

ومثل هذا الاعتراف بالذنب بين يدي الله تبارك وتعالى تكرر كثيراً في أدعيتهم ومناجاتهم (سلام الله عليهم) كقول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة: (أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملأ أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الذي على سيده اجترا، أنا الذي عصيت جبار السما، أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرُشى، أنا الذي حين بُشرت بها خرجت إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى السعيد لعام ١٤٣٢ الموافق ٢٠١١/١١/٧م.

(٢) مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذي الحجة.

ارعويت وسترت علي فما استحييت وعملت بالمعاصي فتعديت)[1].

وهنا يُثار سؤال أو إشكال من جهة المنافاة ظاهراً بين ما نعتقده من عصمة الأئمة (عليهم السلام) وعدم صدور الذنب والمعصية منهم، وبين الإقرار والاعتراف الوارد في هذه الأدعية والمناجاة.

ويقال في الجواب: أحياناً أنهم إنما يتحدثون بلسان الناس الآخرين لأنهم (عليهم السلام) في مقام التعليم للناس فيلقنونهم ما يقولون عندما يقفون بين يدي الله تبارك وتعالى، كما علَم الله تعالى عباده في سورة الحمد ما يقولون عندما يقفون بين يدي الله تبارك وتعالى في الصلاة وغيرها.

وهذا الجواب قد يناسب صدور بعض تلك الأدعية لكنه لا يفسِّرها كلها، لأن الإمام (عليه السلام) يعبر فيها فعلاً عن وجدانه وعن مشاعره تجاه الخالق العظيم.

ويروى هذا الجواب عن ابن طاووس، فقد قال الأربلي في كشف الغمة: ((كنت أرى الدعاء الذي كان يقوله أبو الحسن موسى (عليه السلام) في سجدة الشكر وهو (ربِّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو

---

(١) مصباح الكفعمي: ص٥٩٣.

شئت وعزتك لأكمهتني.. وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمتَ بها عليَّ لم يكن هذا جزاكَ مني) فكنت أفكر في معناه وأقول كيف يتنزل على ما تعتقده الشيعة من القول بالعصمة وما اتضح لي ما يدفع التردد الذي يوجبه)).

فاجتمع بالسيد علي بن طاووس (قدس الله روحه) وسأله عن ذلك فقال: ((إن الوزير مؤيد الدين العلقمي (رحمه الله) سألني عنه فقلت كان يقول هذا ليعلم الناس، ثم إني فكرت بعد ذلك فقلت هذا كان يقوله في سجدته في الليل وليس عنده من يعلّمه)).

((ومات السيد ابن طاووس ﵀ فهداني الله إلى معناه ووفقني على فحواه فكان الوقوف عليه والعلم به وكشف حجابه بعد السنين المتطاولة والأحوال المحرمة والأدوار المكررة من كرامات الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ومعجزاته ولتصح نسبه العصمة إليه (عليه السلام) وتصدق على آبائه وأبنائه البررة الكرام وتزول الشبهة التي عرضت من ظاهر هذا الكلام.

وتقريره أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم مملوءة به وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى وهم أبداً في المراقبة كما قال (عليه السلام): (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك).

فهم أبداً متوجهون إليه ومقبلون بكلهم عليه فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه.

ألا ترى أن بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد وأكل وشرب ونكح وهو يعلم أنه بمرأى من سيده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه فما ظنك بسيد السادات وملك الأملاك. وإلى هذا أشار (ﷺ) أنه ليران على قلبي وأني لأستغفر بالنهار سبعين مرة ولفظه السبعين إنما هي لعد الاستغفار لا إلى الرين وقوله حسنات الأبرار سيئات المقربين))[1].

ثم قال: ((ونزيده إيضاحاً من لفظه ليكون أبلغ من التأويل ويظهر من قوله (عليه السلام): (وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لأعقمتني) أعقمتني والعقيم الذي لا يولد له والذي يولد من السفاح لا يكون ولداً فقد بان بهذا أنه كان يعد اشتغاله في وقت ما بما هو ضرورة للأبدان معصية يستغفر الله منها وعلى هذا فقس البواقي وكلما يرد عليك من أمثالها))[2].

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣/٤٧-٤٨.

(٢) كشف الغمة للأربلي: ج٢ص٢٥٢.

وقد ذكر العلامة المجلسي (رحمه الله) هذا الوجه ووجوهاً أخرى لفهم صدور هذه الأقوال منهم (عليهم السلام)، قال (رحمه الله): ((فأما ما يوهم خلاف ذلك -أي عصمتهم (عليهم السلام)- من الأخبار والأدعية وهي مؤولة بوجوه:-

- إن ترك المستحب وفعل المكروه قد يسمى ذنباً وعصياناً بل ارتكاب بعض المباحات أيضا بالنسبة إلى رفعة شأنهم وجلالتهم ربما عبروا عنه بالذنب لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم كما مرت الإشارة إليه في كلام الأربلي رحمه .

- إنهم بعد انصرافهم عن بعض الطاعات التي أُمروا بها من معاشرة الخلق وتكميلهم وهدايتهم ورجوعهم عنها إلى مقام القرب والوصال ومناجاة ذي الجلال ربما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبة العظمى مقصرين، فيتضرعون لذلك وإن كان بأمره تعالى، كما أن أحدا من ملوك الدنيا إذا بعث واحداً من مقربي حضرته إلى خدمة من خدماته التي يحرم بها من مجلس الحضور والوصال فهو بعد رجوعه يبكي ويتضرع وينسب نفسه إلى الجرم والتقصير لحرمانه عن هذا المقام الخطير.

- إن كمالاتهم وعلومهم وفضائلهم لما كانت من فضله تعالى، ولولا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصي، فإذا نظروا إلى أنفسهم وإلى تلك الحال أقروا بفضل ربهم وعجز نفسهم بهذه العبارات الموهمة لصدور السيئات فمفادها أني أذنبت لولا توفيقك، وأخطأت لولا هدايتك)).

أقول: هذا المعنى ذكره الأئمة (عليهم السلام)في أدعيتهم كما في دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (ﷺ): (إلهي إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق، فمن السالك بي إليك في واضح الطريق؟ وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى؟ وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان).

- إنهم لما كانوا في مقام الترقي في الكمالات والصعود على مدارج الترقيات في كل آن من الآنات في معرفة الرب تعالى وما يتبعها من السعادات فإذا نظروا إلى معرفتهم السابقة وعملهم معها اعترفوا بالتقصير وتابوا منه، ويمكن أن ينزل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة).

أقول: هذا معنى مجرَّب في حياتنا فالعالم أو الباحث الذي ينضجّ علمه ويتعمق ويتسع تدريجياً عندما يراجع ما كتبه وما قدمه قبل سنين فإنه يخجل منه ويعترف بالتقصير إزاءه وربما يطلب إتلافه وتغييبه، مع أنه كان يمثل قدراته في ذلك الوقت وكان مقتنعاً به، إلا أنه لما ترقّى صار يراه موجباً للخجل والاعتذار.

أما كونهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في ارتقاء وزيادة حتى بعد وفاتهم فهذا ما نطقت به الروايات لذا ورد الحث على الدعاء لهم بطلب الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود والصلاة عليهم، وورد في ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): (لولا أنّا نزداد لأنفدنا)[1].

- إنهم (عليهم السلام) لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم فكل ما أتوا به من الأعمال بغاية جهدهم ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم عدوا طاعاتهم من المعاصي واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصي.ومن ذاق من كأس المحبة جرعة شائقة لا يأبى عن قبول تلك الوجوه الرائقة، والعارف المحب الكامل

(١) أصول الكافي: ج١، كتاب الحجة، باب: لو أن الأئمة يزدادون لنفد ما عندهم.

إذا نظر إلى غير محبوبه أو توجه إلى غير مطلوبه يرى نفسه من أعظم الخاطئين، رزقنا الله الوصول إلى درجات المحبين[1].

وهذا المعنى عرفي أيضاً فإن من حلّ به ضيف عالي الشأن وقدّم له غاية جهده إلا أنه يواصل اعتذاره عن التقصير؛ لأنه يرى أن ما قدّمه وإن كان كل ما يستطيع تقديمه إلا أنه بلحاظ مقام ذلك الضيف يرى كل ما قدّمه موجباً للخجل والاعتذار.

ونضيف وجوهاً أخرى إلى ما ذكره (رحمه الله) مع المحافظة على الترتيب.

- إنهم (عليهم السلام) يستغفرون من الذنوب التي تحسب عليهم بما اجترح أتباعهم، وهذا معنى أخلاقي جرت عليه السيرة العقلائية، فإن المرجع يتحمل أوزار أتباعه إذا أساؤوا، والأب يعتبر نفسه مسؤولاً عما جناه ابنه، والمدير لمؤسسةٍ ما يعتبر نفسه مسؤولاً عن تقصير أحد موظفيه، أو خيانتهم، فيقدم الاعتذار ويتحمّل التبعة وقد يستقيل من موقعه. فالمعصومون (عليهم السلام) يستغفرون الله تعالى من التبعات التي لحقتهم بسبب سوء

(١) بحار الأنوار: ٢٥/٢١٠.

تصرفات أتباعهم بل هم آباء لهذه الأمة بنص الحديث النبوي الشريف: (أنا وعلي أبوا هذه الأمة)( )، فما يصدر من الأمة يحسب عليهم. ووردت في بعض الروايات كما في تفسيرالقمي بسنده عن عمر بن يزيد قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قول الله عز وجل في كتابه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال (عليه السلام): (ما كان له ذنب ولا همٌ بذنب ولكن الله حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له)[٢].

لذا وردت الوصايا عن المعصومين (عليهم) لشيعتهم: (كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً)( ).

- إنهم (عليهم السلام) يعتبرون أنفسهم مذنبين ومقصّرين ما دام يوجد فرد في هذه الدنيا لم يتكامل ولم يحقق العبودية الكاملة في حياته؛ لأن هذا يعني أنهم (عليهم السلام) لم يحققوا هدفهم ولم تنجح وظيفتهم بشكل كامل وهي بسط التوحيد الخالص في الأرض، فكيف إذا

---

(١) البحار: ج١٦ ص٩٥.

(٢)تفسير القمي: ٢٩٠/٢ وأوردها عنه العلامة المجلسي في البحار: ٨٩/١٧ ح١٩.

(٣) الوسائل: ج١٢ ص٨.

كانت أكثر البشرية ضالة {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}. يوسف: ١٠٣.

وهذا النقص في تحقيق الغرض وإن كان بسبب خارج عنهم وهو سوء اختيار المتلقي من الناس وعدم استجابتهم لداعي الحق، أي في قابلية القابل وليس في فاعلية الفاعل كما يعبّرون، إلا أنهم (عليهم السلام) على أي حال يشعرون بالذنب والتقصير وحرقة القلب لعدم اكتمال أهداف رسالتهم، ويطلبون من الله تعالى العفو والصفح.

ولذا وردت تطمينات من الله تبارك وتعالى لنبيه وعفو عن مسؤولية هذه النتائج المؤسفة، وتطييب لقلبه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ[1] نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً}. الكهف:٦.

وقال تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}. الشعراء:٣.

٨- في ضوء الحديث المروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) باخع: أي قاتل.

وسلم): (لم يَعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال) إلى أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (والعاشرة وما العاشرة: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان فرجلٌ هو خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى، فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شرٌّ منه وأدنى قال: عسى خير هذا باطن وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وساد أهل زمانه)[1].

أقول: عقول المعصومين (عليهم السلام) هي أكمل العقول فهذا التواضع وهذا الشعور بأنه أقل الخلق أمام الله تعالى في أعلى درجاته عندهم (عليهم السلام)؛ لأنهم لا ينظرون إلى أنفسهم ولا يتَكلون على أعمالهم مهما عظمت وخلصت ولا يأمنون مكر الله تعالى وهم يتلون خطاب الله لجدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد الخلق: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ**

(١) الخصال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه): ٤٣٣/٢ أبواب العشرة، ح١٧.

الْخَاسِرِينَ}. الزمر:٦٥. ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو عصيت لهويت)[1].

والحكاية المروية عن كليم الله موسى بن عمران (عليه السلام): (إن الله سبحانه أوحى إلى موسى (عليه السلام): إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى لا يعترض (يعرض) أحداً إلا وهو لا يجسر (يجتري) أن يقول: إني خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مر بكلب أجرب فقال: أصحب هذا فجعل في عنقه حبلا ثم جرَّ به فلما كان في بعض الطريق شمر الكلب من الحبل وأرسله، فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه قال: يا موسى أين ما أمرتك به؟ قال: يا رب لم أجده فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة)[2].

٩- إن استغفار المعصومين (عليهم السلام) إنما هو من وجود مقتضيات الذنب والمعصية فيهم وإن كانت عندهم الملكة القدسية الرادعة عن توظيفها إلا في طاعة الله تبارك وتعالى، فتعتبر الشهوة الجنسية شراً بمعنى من المعاني،

---

(١) البحار: ج٢٢ ص٤٦٦.

(٢) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ٢٠٤

وكذا الغضب لأنها مناشئ الذنوب، ففي الخصال بسنده عن هشام بن الحكم في تفسير عصمة الإمام قال: ((إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منتفية عنه))[1].

فالأئمة يستغفرون من وجود هذه المقتضيات للذنوب عندهم وإن كانوا بلطف الله تبارك وتعالى لا يستعملونها إلا في ما يرضي الله تبارك وتعالى كما في معاني الأخبار بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (المعصوم وهو الممتنع بالله من جميع محارم الله وقد قال تبارك وتعالى: **{وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**. آل عمران:١٠١)[2].

١٠- إن الله تعالى يقول: **{وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}**. إبراهيم:٣٤. فإذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة نعم الله وعدّها فكيف يتسنى له شكرها فهو عن أداء الشكر أعجز وفي ذلك ورد في دعاء للإمام السجاد (عليه السلام): (ونعماؤك كثيرة قصُر فهمي عن إدراكها فضلاً

(١) الخصال: ٢١٥/١ أبواب الأربعة، ح٣٦. وقد تقدم في الفصل الاول ما يشرح ذلك.

(٢) معاني الأخبار: ١٣٢ باب ٦٤، ح٢.

عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجبَ عليٍّ لذلك أن أقول لك الحمد)[1].

فإذا ضممنا إلى ذلك مقدمة أخرى مأخوذة من وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) المشهورة لهشام بن الحكم وفيها (يا هشام إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها)[2] ينتج وجه جديد لفهم الذنوب وهو العجز عن أداء شكر النعم، ويكون الشعور بالذنب أكبر كلما كانت النعم أكثر، ولذا يشعر الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أنهم أكثر الخلق ذنوباً كقول الإمام السجاد (عليه السلام): (وما في الورى شخص جنا كجنايتي)[ ] لأنهم حُبوا بأعظم النعم فقد أعطاهم الله تعالى منزلة يغبطهم عليها الأولون والآخرون وخلق الكون لأجلهم.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٩٨ مناجاة الشاكرين.

(٢) تحف العقول: ٣٨٣-٤٠٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٥٢.

أيها الأحبة:

حينما نذكر هذه الوجوه التي هي صحيحة وقد يناسب بعضها بعض الموارد وبعضها موارد غيرها، فإنما نريد تحصيل عدة أمور:

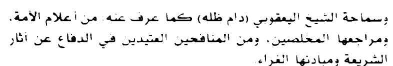
- دفع هذا الإشكال والدفاع عن عقيدتنا في عصمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) التي هي ثابتة بأدلة قطعية تفوق الحصر والاستقصاء.
- أن نتعرف على طبيعة العلاقة مع الله تبارك وتعالى من خلال التأسّي بما كان يقوم به المعصومون (عليهم السلام).
- أن نستشعر المسؤولية تجاه أفعالنا بل أفعال كل من يمكن أن تُحسب تصرفاته علينا، وتزداد سعة التبعة بسعة دائرة المسؤولية، فلا بد أن نكون مراقبين متابعين محاسبين حازمين والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

جدول محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة





وسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) كما عرف عنه. من أعلام الأمة، ومراجعها المخلصين. ومن المنافحين العتيدين في الدفاع عن آثار الشريعة ومبادئها الغراء.

وهو الى جانب ذلك له من اللطافة الاخلاقية، وعمق الخطاب، مع ما له من تأثير عجيب في النفوس جعل كلامه يأخذ بمجامع القلوب ليرويها من العذب الزلال.

كلمات القران الكريم وأحاديث أهل العصمة (عليهم السلام) تترى على فيه، بحيث تكون هي الساندة فيما يتحدث أو يقول. ليعبّر عن الخطاب الأخلاقي الذي يستنير بالقران والسنة، في الوقت الذي لا يحدو فيه إلى المدارس المصطنعة وغير الرشيدة في تعاطيها مع الواقع والحياة.

والشيخ اليعقوبي يعتبر أن ظاهر الشريعة بُراق السير إلى الله تعالى، فترك الذنوب، وأداء الصلاة والحقوق وخدمة العباد، هي التي تنير درب أهل الله إلى صراط الحق جل وعلا.

وهذه المائزة هي التي ميّزته مع جمهرة من الفقهاء السلف ممن قضوا شطراً من عمرهم الشريف في طريق التهذيب والتزكية.

هذه الخطابات الأخلاقية مليئة بالعذوبة، وتتصدى لكل طبقات الأمة، وجرّب الذين كانوا تحت منبر سماحة الشيخ اليعقوبي كيف كانت الكلمات تعرج بالحاضرين إلى ذكر الله تعالى، لتضفي عليهم كساء الخشوع، وانشراح القلب الذي غشناه بين يديه.

عرفه كل من نهل من فيض كلماته الإلهية، والتي كان يمزج فيها كل أحاديثه وخطاباته، وحتى السياسية منها. وفي أقسى الظروف تجد الشيخ اليعقوبي يلقي دروس الأخلاق بفؤاد وادع، وقلب مطمئن، وتراه يبدي كلماته عن الله تعالى ومراقبته، وعن الشكر له في كل المناسبات والفجائع التي تطرق سمعه.



